شخصية . . .

« لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلا عاقلا »
« أوليفر جولد سميث »

يتكلف الصدق فى ابريل ليصدقه الناس حين يكذبون العالم بأجمعه ؛ ثم يطلق نفسه على سجيتها باقى شهور السنة ، فيكذبه الناس حين يصدقون العالم بأجمعه .

وهو يحاول قدر طاقته أن يصوغ حقائقه المكذوبة صياغة صادقة ، ولكن مقدرته الفنية على ذلك ليست كبيرة وإن كانت فى نظره ، ومن غير تصريح ، عظيمة بالغة ! !

وأؤكد أنه لو شك يوماً فى مقدرته على سبك الأكاذيب ، لخجل ، وكف ، واتزن .

ولكنه لأمر ما ، غريزى ولا شك ، يكذب دون أن يشعر أنه يكذب حقا ، أو هو يتصور من فرط عنايته بالصياغة أنه يصدق حين يتكلم اليك . أستطيع أن أفهم هذا من أنه يتألم إذا اتهمته بالكذب ، ويغضب لكرامته غضب من يروى لك خبراً صادقاً وأنت تشك فى روايته .

وهو يواجه الناس بمقدرة عظيمة على دفع اتهامهم اياه ، وينبرى لهم ليرد عن نفسه سيل الانتقاد الجارف . وهو بارع فى مواجهته لأكثر من شخص فى الوقت الواحد .

وهو إذ يروى لك رواية ، يهذبها قبل أن يلقيها اليك بقدر ما تسمح مقدرته على التهذيب ؛ ثم هو يعود فيتدارك ما قد يكون فيها من تنافر وتضارب مع بعض الحقائق التى قد تسارع الى رأس سامعه ، فينتظر ريثما يفهم نوع استقبالك لحديثه واستساغتك له ، فاذا لم يكن بد من الاستدراك ، سارع الى الاعتذار بقوله : « إننى لم أحسن التعبير » ثم يروح يفكر ، ويفكر ، ويزيد على الاعتذار السابق قوله : « إننى أقصد بالضبط أن أقول كذا وكذا »

وأنت مضطر الى أن تقبل الاعتذار عن ضعف التعبير أولا ، ثم عن ترقيع الرواية ثانياً ، لأنه صديقك ، وللصداقة حقها . ثم لسبب آخر غير الصداقة إذا كنت ممن يرون الحياة ثقيلة إذا ظلت دائبة على الصدق ، وتحرى الحقيقة . . ففى الكذب متسع عظيم للخيال الشارد والخيال المتزن ، وفى الصدق تحقيق وتدقيق ، وأخذ بأسباب الحقيقة ، والحقيقة لا تتعدد ، وصاحبنا من أنصار التنويع والتعدد ، فهو بما يخترع من الروايات ، وما يلفق من الأحاديث ، ينتقل بك من الجد الثقيل على النفس إلى جد آخر ، من صنعته هو ! بلغ فيه عنده حد الابداع فى السبك وحسن الأداء ؛ فاذا ضيقت عليه المسالك ، وأخذته من كل ناحية ، وأعملت المنطق فى قضاياه ، وسلطت الحقيقة المرة على خياله الحلو ، انحسرت عن صاحبنا كل مسعفة من حسن الأداة وبراعة الحبك ، وتخلت عنه فجأة شياطين الأكاذيب التى اعتادت أن تواتيه بالهام كلما استلهمها ، وفزع اليها .

والحق أن تلك الشياطين كانت أطوع له من بنانه ، فلم تكن تشعر أن هناك فترة تمضى بين ضراعته اليها فى أحرج مواقفه وبين استجابتها لضراعته ، حتى لتكاد تعتقد أنها كانت تلازمه أينما ارتحل ، متحفزة لكل نداء ، متأهبة لكل تلبية .

وإن أعجب من شىء ، فليس ببالغ عجبى من هؤلاء العباقر ، ومن اجتماعها على خدمة هذا الرأس الصغير المستدير ، ومن

الشعور ، طبيعة فنانة ذكية عاقلة ! وليست هى مجموعة من المصادفات الهوجاء .

ونحن نظن أن الانسانية التى كانت تسير على غير هدى بالأمس قد أصبحت اليوم شاعرة عاقلة تحس نفسها وتتساءل عن مصيرها ، ولقد شارفت الأفول شمس هذا اليوم الذى كان يسير الناس فيه عميا لا يبصرون ، ويخضعون ويتألمون ولا يدرون ، لماذا يتألمون . وسيغرب هذا اليوم ليشرق غد عن انسانية أكثر استنارة ، وأقل حيوانية وانزع الى الكمال ، وأعرف بمواطن الضعف وبطرق العلاج .

هذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الناحية من كتابات ويلز الاجتماعى ليست بالناحية الخالدة وان كانت هذه الناحية هى التى برز فيها واشتهر باتقانها .

لقد طرق ويلز موضوعا آخر أبدع فى علاجه ابداعا لاشك أنه رافع اسمه الى الخلود .

وهذا ما قد يحدونا الى الكتابة عنه مرة أخرى ؟

شهدى عطيه الشافعى
بكالوريوس آداب

مقدرتها على تأليف الصور من الشتات المتنافر ، وتركيب الأخيلة من الحطام المتناكر ؛ ثم من عجزها وتخليها فجأة عن النهوض بأعباء المهمة التى أرسلت لها ، حين تهبط ملائكة الحق لتنقذ الموقف . . . فيتعذر إذن أن يجتمع ملاك وشيطان .

فاذا انجابت عن صاحبنا شياطين أكاذيبه ، دق موقفه ، وتحرج ، فمال على محدثه يلتمس عنده المعذرة عن هذا الموقف المتجرد — لا بالقول بعبارة الأسف المألوفة — بل بالانضمام الى محدثه دفعة واحدة ، ومشايعته فى رأيه ، وفى منطقه ، وفى حملته على هذه الأكاذيب الصريحة ! حتى لكأنهما يحملان معاً على شخص ثالث ! !

فاذا التفت اليه التفاتة ذات معنى ، تقلص وقطّب ، ثم هش بغتة ، واحمر ، ثم غاض الدم من وجهه ، وتهدلت شفته السفلى وغمغم ، فاذا دققت ، فهمت أنه يريد أن يقول مامؤداه : « وماذا على ؟ إنى ألفت الكذب ينجى فى كثير من المآزق »

وهذه هى خلاصة فلسفته التى يصارحك بها فى الوقت المناسب .

تردد يوماً ما فى قضاء أجازة قصيرة بين بلدته وبين القاهرة .

اعتزم أن يزور بلدته لأن فترة طويلة مضت دون أن يرى أهله وذويه .

واعتزم أن يزور القاهرة لأنه مل حياة الريف الرتيبة المملة ، وتاق الى حياة القاهرة الصاخبة بما تستحدث كل يوم من صنوف المسليات ، وأراد أن « يشعر بالحياة » على حد تعبيره .

فلما اعتزم السفر الى بلدته ، كلف بأمر من الأمور التى تمت الى حياة القرى بصلة .

فلما اعتزم السفر الى القاهرة كلف من صديق له بأمر من الأمور التى لا يسهل قضاؤها من غير العاصمة . وحمل النقد الكافى لذلك .

ومضت الأجازة كأن لم تكن . وعاد صاحبنا إلى مقر عمله .

والتقى بمن كلفه مهمة البلدة فابتدره بقوله : « أنا آسف جد الأسف ، لأنى قد مضيت الاجازة كلها فى القاهرة ! »

فلما التقى بالآخر كان لزاماً عليه أن يعتذر عن تقصيره ، فقال : « أرجو المعذرة إذ قد مضيت أجازتى كلها فى البلدة ، اذ وردتنى رسالة برقية فى آخر لحظة تستدعينى اليها على عجل لأمر عائلى » .

وكان يلذ لى شخصياً اصطناعه لهذه الأحاديث ـ أحياناً ـ فاكون فى نظره الصديق الذى ما بعده صديق ! وأكون أقرب شخص الى قلبه ، وأقرب فكر الى فكره ، ويكون منطق طبق الأصل من منطقه ! (كذا)

وأنا حين أكون هذا الشخص أجرى على حكمة أوليفر جولد سميث « لقد سئمت أن أكون على الدوام رجلا عاقلا »

ولكنى كنت أضيق بصاحبى ذرعاً ، حين كانت نزعة الحقيقة والعقل تغلب عندى على كل خيال حلو تنتجه قريحة صاحبى ، فأقف منه فجأة موقفاً يصفه هو بالعداء ، وأصفه أنا بتحرى الحقيقة والتزامها ليس غير .

فاذا بلغت الحال بنا هذا الحد من التحرج ، بحثت لصديق عن هنة من هناته التى تمت الى الكذب الصريح بصلة قريبة .

وحضرنى فى آخر موقف أن أعنفه على إهماله إرسال بطاقة (المعايدة) التى اعتاد الناس تبادلها فى العيد ، فابتدرنى بهذا السؤال :

— أليس عنوان بيتكم رقم ١٩ شارع . . . . ؟

— قلت نعم (متخابثاً)

— قال لقد أرسلت لك المعايدة على هذا العنوان .

— قلت وما رأيك اذا كان رقم منزلنا ١٦ لا ١٩ ؟

— فسكت صاحبى سكوتاً أشفقت عليه منه ، ومع ذلك لم يمنعنى اشفاقى عليه من أن أذكره بفلسفته الخالدة : « إنى ألفت الكذب ينجى من المآزق » ! ! !

— وسألته : إلى أى حد تنطبق فلسفتك على هذا المأزق ؟ . . وكيف خلاصك منه ؟ . .

ابراهيم ابراهيم جمعه
« ليسانسيه »